مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (4) العدد (5) 2020
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (4) No. (5) 2018

العمل في منظومة القيم الفكرية والفنية عند سليمان العيسى في "ديوان الأطفال

أ. د. محمد معلّا حسن*
منى رجب مصطفى**

(تاريخ الإيداع 6/15 /2020 . قُبِل للنشر في 23 /7 /2020)

□ ملخّص □

يذخر (ديوان الأطفال) عند سليمان العيسى بالقيم الفكرية من قيم قومية ووطنية، واجتماعية، ومعرفية وترويحية يتوجه بها الشاعر إلى الطفل العربي لينشأ، ويترعرع في مناخ تلك القيم السامية متأثراً بما تحمله من أهمية في بناء الشخصية السليمة، ويسعى هذا البحث المختصر إلى دراسة قيمة العمل في الديوان المذكور آنفاً، سعياً إلى تعرف أنماطها في شعر العيسى ومدى نجاحه في إيصالها إلى الصغار وإقناعهم بها، والكشف عن مدى ثراء نصوصه بتلك القيمة المتوافق الحث عليها سياسياً، واجتماعياً، وإنسانياً، واقتصادياً، ودورها في إغناء الواقع الفكري للطفل وتنميته، فالشعر الجيد يعدّ من أقوى الأجناس الأدبية المستثمرة في تأصيل الأفكار والقيم الموجبة في الصغار والناشئة وحضّهم عليها.

الكلمات المفتاحية: القيم، أدب الأطفال، قيمة العمل.

* – أستاذ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة طرطوس – قسم اللغة العربية.
** – طالبة دراسات عليا (ماجستير) – جامعة طرطوس – كلية الآداب – قسم اللغة العربية.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (4) العدد (5) 2020
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (4) No. (5) 2018

THE WORK IN THE INTELLECTUAL AND ARISTIC IN SULIMAN AL-ISSA'S "CHILDREN POERTY"

D.R Mohammad Moa'alla Hasan*
Mona Rajab Moustafa**

(Received 15/6/2020. Accepted 23/7/2020)

□ ABSTRACT □

(The children's Collection) of Suliman Al-Essa abounds with intellectual values; including national, social, cognitive, recreational values, in which the poet directs the Arab child to grow up in the climate of these lofty values, diverging from the importance that he holds in building a healthy personality. This brief study seeks to study the value of work in the previously mentioned collection, trying to identify its genres in the poetry of Suliman Al-Essa and how successful he is in delivering these values to the young and convincing them of it. Disclosing the richness of his texts in that agreed-upon value which is politically, socially, humanly and economically acceptable, and its role in enriching and developing the child's intellectual reality. Good poetry is the strongest possible literary genre invested in rooting positive ideas and values in the young and inciting them to stick by it.

Keywords: values, children's literature, value of work

* - Professor at the Faculty of Arts and Humanities – Tartous University – Arabic Literature Department.
** - Postgraduate student (master's) – Tartous University - Faculty of Arts and Humanities – Arabic Literature Department.

مقدمة

تعدُّ كتابة الشاعر سليمان العيسى للأطفال لبنةً من لبنات بناء أدب الأطفال، ومبادرةً رصينةً ورزينةً انتهت بشعر الأطفال إلى آفاقٍ جديدةٍ في الشكل والمادة والبناء والأسلوب، إذ قامت على تصورٍ نظري يوازن بين قضايا الفنِّ ومتطلبات الفكر والتربية، ومسايرة الواقع والظروف المحيطة رغم وعورة المسالك، وهي جهود خليقة بكل احترام، وحسب العيسى أنّه حرَّك الأقلام التي أنفت عالم الأطفال والولوج فيه.

ولأدب الأطفال دورٌ بارزٌ في تربية النشء، وغرس الأفكار والقيم والاتجاهات الخلقية والإنسانية الصحيحة، التي يؤمن بها المجتمع، ليصبحوا في المستقبل رجالاً قادرين على تحمُّل مسؤولياتهم بفكرٍ متماسكٍ وجهودٍ متكاملةٍ من أجل بناء الوطن وتقدُّمه، وسنحاول في هذا البحث رصد قيمة العمل في "ديوان الأطفال" لسليمان العيسى، ولكن قبل الولوج في التطبيق سنقف عند تعريف القيم في محاولةٍ للوصول إلى مفهوم مُحدَّدٍ لهذا المصطلح.

1. موضوع البحث: هو دراسةٌ أدبيةٌ في ديوان الأطفال للشاعر سليمان العيسى وهو يضمُّ أبرز أعماله الشعرية للأطفال، وستقوم الدراسة بإبراز قيمة العمل ومظاهرها وتجلياتها، والكيفية التي تعامل بها العيسى مع هذه القيمة وأساليب وطرق عرضه لها.

2. أهداف البحث: الوقوف على قيمة العمل في "ديوان الأطفال" وإبراز دوره التربوي في تكوين شخصية الطفل وتوجيهه، ومدى نجاح العيسى في إيصال هذه القيمة للصغار.

أهمية البحث

قد وقع اختياري على دراسة قيمة العمل لأهميتها في شعر الأطفال وفاعليتها التأثيرية، لما تتركه من آثار نفسية وتربوية لدى الطفل المتلقي، ووقع اختياري على شعر سليمان العيسى للحضور الفاعل لقيمة العمل في شعره، ولدوره الرياديّ في أدب الأطفال بوصفه قامة شعرية سورية لها بصمتها البارزة في هذا المجال، ولقلة الدراسات التي تناولت هذا الجانب في شعره بصورة خاصة، ولقلتها – أيضا – في شعر الأطفال بصورة عامّة.

منهج البحث

تنطلق القراءة التحليلية من النص ذاته عبر قراءات متعددة سيحاول الباحث من خلالها التفاعل مع النص وسبر أغواره مستنداً إلى المنهج الوصفي التحليلي.

1. مفهوم القيم:

أ . القيم لغة:

الباحث في الجذر اللغوي للقيمة، الذي هو (قَوَمَ) يجدُ أنّه دالٌ في معظم معانيه على الاعتدال والقدر، و"القوام: العدل... قيمة الشيء: قدره، وقيمة المتاع: ثمنه... ويقال ما لفلان قيمةٌ ماله ثبات ودوامٌ على الأمر و(قام) – قَوْماً، وقِياماً، وقَوْمة انتصب واقفاً"[1].

ب . القيم اصطلاحاً:

(1): لسان العرب: ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت711هـ)، دار صادر – بيروت – لبنان، ط1، 1997، مادة : قوم.

بما أنَّ القيم من أهمِّ أركان النَّصِّ الشعري الموجَّه للأطفال، فإنني سأستعرض بعض التعريفات التي تعطي المضامين الاجتماعية والأخلاقية للقيم.

عرَّفها علم النفس أنَّها: "المعيار الذي في ضوئه يمكن الحكم بخيرية الخير، وحسن الحسن، وقبح القبيح وما يجوز ومالا يجوز، وما هو مرغوب وما هو غير مرغوب... والقيمة هي محصلة مجموع الاتجاهات، التي تتكون لدى الفرد إزاء شيء أو حدث أو قضية معينة وتعدُّ القيم من دوافع السلوك المهمة، ولها أهمية كبرى ليس فقط في حياة الإنسان الخاصة، بل أيضاً فيما يقوم به الأفراد والجماعات من سلوك"[1].

أمّا المعجم الفلسفي فقد عرفها من الوجهة الأخلاقية أنّها: "ما يدل على لفظ الخير، بحيث تكون قيمة كل فعل تابعة لما يتضمنه من خيرية، فكلما كانت المطابقة بين الفعل والصورة الغائبة للخير أكمل، كانت قيمة الفعل أكبر، وتسمى الصورة الغائبة المرتسمة على صفحات الذهن بالقيمة المثالية (VALEURS IDEALE) وهي الأصل الذي تبنى عليه أحكام القيم (Judgments devalues) أي الأحكام الإنسانية التي تأمر بالفعل أو بالترك"[2].

كما عرّفها من الوجهة الموضوعية أنّها: "ما يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقاً التقدير كثيراً أو قليلاً، فإذا كان مستحقاً للتقدير بذاته كالحق والخير والجمال، كانت قيمته مطلقة"[3].

2. أهمية العمل بوصفه قيمة فكرية:

العمل مجد الحياة وجوهرها، وهو حاجةٌ ماسةٌ لتحقيق الأمن الاجتماعي في المجتمع، وخلق الحياة الحرة الكريمة لأفراده، و"الأساس الأول في صيرورة الإنسان وإنسانيته، إذ بالعمل ينطلق الإنسان مما هو كائنه إلى ما يصبو إليه..."[4].

وقيل فيه "العلم علّية، والعمل مطية، والإخلاص زمامها، فخُذْ لعقلك بما يزينه من العلم، وللعلم بما يصونه من العمل، وللعمل بما يحققه من الإخلاص..."[5].

3. قيمة العمل في شعر سليمان العيسى:

لقد نال العمل مكانةً بارزةً في فكر العيسى ووجدانه، فعني به عنايةً خاصةً، وسعى بكلِّ طاقاته إلى غرس هذه الفكرة في أذهان الصغار، ولعلّ ذلك ينبع من موقفه التربوي من العمل ومن إيمانه بأنَّ كاتب الأطفال يجب عليه أن "يدعو إلى التمسك بالقيم السامية، والمثل العليا واحترام العمل، وتقدير جهود الكادحين والمنتجين وربط قيمة الإنسان بمقدار عمله ونفعه لشعبه وتنمية العمل الجماعي..."[6].

---

(1): معجم المصطلحات التربوية والنفسية، عربي – إنكليزي – عربي: أ. د حسن شحاته، أ. د زينب النجار، الدار المصرية اللبنانية – القاهرة، ط1، 2003، ص243.

(2): المعجم الفلسفي: جميل صليبا، ج2، دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان، 1981، ص:213.

(3): المصدر السابق، ص:213.

(4): واقعية الإبداع وجماليات الواقعية من منظور الاغتراب وقهر الاغتراب: د. بشير مطيع ناصر، دار الطليعة الجديدة – سورية – دمشق، ط1، 2009، ص:26.

(5): زهرة الآداب وثمر اللباب، القيرواني: مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم الدكتور زكي مبارك، حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، دار الجبل للنشر والتوزيع والطباعة – بيروت – لبنان، د.ت، ص:10821.

(6): الطفل بين الألفاظ والمعاني: مريم فرنسيس، (المعرفة) السنة الثامنة عشر، العدد215/214، كانون الأول/كانون الثاني، 1979م، ص:200.

وقد ألحت فكرة العمل على العيسى إلحاحاً شديداً، لذا نراه يدعو إليها تارةً بأسلوب مباشر، وطوراً بأسلوب غير مباشر يجمع ما بين البساطة والعمق كما في نشيد بعنوان "**بائِعةُ المَحار**" الذي يقول فيه[1]:

سُعَادُ فَتَاةٌ كَضَوْءِ النَّهارْ
عَلَى الشطِّ راحَتْ تَبيعُ المَحَارْ
تُعَلِّقُ في صَدْرِها منه عِقْدَا
وتَضْفِرُ في رأسِها منه وَرْدَا
سُعَادُ تُحِبُّ الرِّفاق الصِّغارْ
وتَهْوى على الشط جَمْعَ المَحَارْ

العيسى في هذه القصيدة الموجزة، ذات البناء الفنّي المحكم والمدروس بتقنية عالية يصف فتاة تبيع المحار على الشاطئ، لكنه لا يترك وصفه محايداً، بل يتخذه وسيلةً للحثّ على قيمة العمل، فاستطاع بذلك أن يربط بين معنى صغير ومعنى كبير، وأن يعبر عن هذين المعنيين بأسلوب بسيط وجاذبٍ للصغار، مصوراً دنيا الأطفال في براءتها وحيويتها وما تضفيه من هناءة في القلوب.

وفي نشيد "**الأُسْرةُ تَعْمَلُ**"، يجدّد العيسى دعوته إلى العمل، ويؤكّد حرصه على بثِّ هذه القيمة وتفتيح أعين الصغار عليها منذ نعومة أظفارهم قائلاً على لسان الصغار[2]:

إنّا نُجَرِّبُ
في يَدَيْنا
كُلُّ شَيءٍ نَصْنَعُ
ويكونُ حَتّى لِعْبُنَا
لِعْبَاً يُفيدُ ويُمْتِعُ
مَجْدُ الحياةِ هُوَ العَمَلْ

الشاعر يرسم صورة للأطفال وهم يصنعون ألعابهم بأيديهم، مبُسِّطاً فكرة العمل، مُطعِّماً إياها بما يُخفف جفافها وقسوتها، فيهبها ما يقرِّبها إلى ذهن الصغار من تشويقٍ ولغةٍ عذبةٍ، فيحمّل النشيد على الرغم من بساطته قيماً كبرى، معتمداً على قفلة ذكية تكشف عن وعي عميق اتسم به الشاعر، وتمكُّنه في الوقت ذاته من الدخول إلى عالم الأطفال بنجاح وإقناعهم بما يريد دون صعوبة تذكر.

وشاعرنا كان على وعي بأهمية العمل ودوره في تعزيز اقتصاد الوطن، وتقدُّمِه وارتقائه، لذا سعى بدأب إلى خلق موقف إيجابي عند الأطفال نحوه، وها نحن نراه يُعدِّد لهم المنجزات التي يقدِّمُها العمال لوطنهم، مساوياً بينها وبين المعجزات، فهم – بحسب رأيه – من يصنعون ملاحم الحياة وفخرها، فيقول على لسانهم مفتخراً بهم وبصنيعهم في نشيد بعنوان "**تشيدُ العمَّال**"[3]:

بأيْدينا صَنَعْنا المُعْجزاتِ
بِنَيْنا الرائعاتِ الباقياتِ

(1): ديوان الأطفال: سليمان العيسى، دار الفكر – دمشق، ط1، 1999، ص:636-637.
(2): الديوان: سليمان العيسى، ص:507-508.
(3): الديوان: سليمان العيسى، ص:187- 188.

رَفَعْنا ألْفَ سارِيةٍ وسَدٍّ
على النيلِ العظيمِ على الفُراتِ
ومِلءُ زنودِنا الوَطَنُ المُفَدَّى
ومِلءُ عُيونِنا في النائباتِ
ونحنُ حِكايةُ الزَّيتونِ فيهِ
وأغْنِيَةُ السنابل مائجاتِ
بمَجْد الصَّمْتِ في الدُّنيا قَنِعْنا
وأعْطيْنا.. فأغْدَقنا الهِباتِ
ونَحْنُ الشَّعبُ .. قاعدةً وروحاً
وَنكْتُبُ نحنُ مَلْحَمَةَ الحياةِ

فالنشيد تغنٍّ بالعمال، وبمشاريع البناء والتطوير، يُثمّن فيه العيسى السواعد التي تبني، غارساً في نفس الطفل قيمة العمل وأهله، رابطاً ربطاً وثيقاً بين قيمة العمل وبين بناء الوطن وافتدائه، مستدعياً دوالَّ لفظيةً قويةً خاصّةً بهم، من مثل: جنودنا، وعيوننا، ومجد، وأعطينا، وأغدقنا؛ ليقول: إنّ العمال هم من يصنعون اللبنة الأساسَ التي تقوم عليها المعجزات محققةً ارتقاء الوطن وخلوده إلى الأبد، كما أنّه استخدم الأفعال الماضية الممتدة بضمير المتكلّم: صنعنا، وبنينا، ورفعنا، وقنعنا، وأعطينا، وأغدقنا، وهذا الضمير المتكرر يتلاءم مع طبيعة العمل وما يستدعيه من تعاون وتكاتف بين العمال، ويسهم في التعبير عن مدى حبّ العيسى لهؤلاء العمال وإظهار دورهم الكبير في النهوض بالوطن.

ولا يخفى دور تكرار بعض الألفاظ من مثل: ملء، الذي كرره مرتين، معبراً من خلاله عن مدى إخلاص هؤلاء لوطنهم وحبهم العميق له، كما لا يخفى تكرار حرف العطف "الواو" بصورة متتالية لما أشاعه هذا الحرف من موسيقا داخلية كشفت عن أحاسيس الشاعر وانفعالاته، فالعيسى يعبر عن حبه للعمال واعتزازه بصنيعهم، وقد جاء هذا التكرار رأسياً متوالياً، ليحدث نغمة إيقاعية موسيقية، ومثل هذا التكرار المتساوي في نسقه يجعل الأبيات تكوّن وحدة بنائية متكاملةً، وساعد في خلق تكوين صوتي أسهم في تدفق النعم والإيقاع وتعميق تجربة الشاعر الوجدانية في إبراز أهمية العمل والعمال.

وسليمان العيسى ـ في الغالب ـ يستقي موضوعاته من عالم الطفولة، كاسراً بذلك جمود التجربة التعليمية متخلصاً بذكاء من قيودها الثقال، مانحاً قصائده وأناشيده طرافة ومفارقات مدهشة، مما يشدُّ انتباه الصغير ويثير فضوله وتساؤلاته، ويجعله يوقن بالأفكار التي يقدمها له، ويتبناها مستقبلاً فتصبح جزءاً من أفكاره وقيمه، وقد ظهر لنا ذلك جلياً في نشيد بعنوان "**رسالةٌ منْ عصافيرِ قَطْرِ النَّدَى**"، وهو رسالة وجهت إليه من تلميذات مدرسة بدمشق تدعى "**قطر الندى**" صاغها شعراً، لكنّه وبحنكته المعهودة، وتمكُّنه من أدواته، وتمرُّسه في ميدان التربية والتعليم لم يترك الأمر دون توظيف ذكي وشائق، فيتّخذ من ذلك فرصةً ليعرّج على قضية العمل من خلال حديثه عن سوق "النحاسين" الذي يقع إلى جوار المدرسة المذكورة آنفاً، فيقدم من خلال ذلك أفكاره العميقة التي طالما آمن بها، ليتمثلها الصغار، مُصوّراً العمال وكأنَّهم صناع الحياة الحقيقيون بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنىً إنساني عميق قائلاً[1]:

(1): الديوان: سليمان العيسى، ص:264.

نحنُ الذينَ نَصنَعُ الحياةْ
منْ دونِ أنْ تَدري بنا الحياةْ
منْ حارَةٍ قديمةٍ مُكافِحَةْ
يَمُرُّ فيها اليومُ مثلَ البارِحَةْ
والنَّاسُ عِندَ الجِدِّ نحنُ الناسْ
وأهلُنا صميمُ هذا الشعبْ
ونحنُ للتحرير.. نحنُ الدربْ

ولم يكتف العيسى بالدعوة إلى العمل، وإبراز أهميته فحسب، بل يدعو إلى إتقانه بشكل غير مباشر (ضمنيٍّ)، ولاسيما المهارات اليدوية، كما في نشيد بعنوان "**شبابة سعدٍ**"، وفيه يرتحل بالذاكرة والخيال إلى طفولته في النعيرية (بساتين العاصي)، وإلى حلمه بأن يصبح موسيقياً، وعازف كمان؛ حلمه الذي حرمه الفقر من تحقيقه، وكلُّ ما استطاع تحقيقه منه، العزف على شبابه من قصبٍ، أو ما يسمى في لبنان بمنجيرة الراعي، وعلى الرغم من امتلاكه لأنواعٍ عديدة منها، إلا أن تلك الشَّبَّابة المصنوعة من القصب، ظلّت الأغلى على قلبه والأصفى لحناً ـ بحسب رأيه[1] ـ فيقول متغنيّاً بها[2]:

شَبَّابَةُ سعدٍ فَتّانةْ
مِنْ صُنْعِ يديهِ الشبَّابة
لو تَسْمعُ فيها ألحانَهْ
تَترقرقُ دنيا خلّابَةْ
* *
شَبَّابَةُ سعد جِنِّيةْ
تتلاعَبُ بالنَّغَمِ الرائعْ
سَمَّاها لحنُ الحريَّةْ
وسَيُهدي اللحنَ إلى رافِعْ
* *
شَبَّابَةُ سعد من قَصَبَةْ
وثُقوبٍ تَرْشَحُ ألحانا
يَنسى سعدٌ فيها تَعَبهْ
يغدو عُصفوراً نَشوانا

فالعيسى يصور للصغار الشبابة التي صنعها بكلِّ إتقان، حتّى كادت أنغامها تنساب دنيا من السحر والجمال تنسيه تعبه وهمومه، ولعلَّ هذا النشيد وما يشابهه ما جعلنا نخمِّن أنّ طفولة الشاعر الجميلة التي سلبها منه المحتلّ، وهو ما يزال صغيراً، كانت سبباً آخر وراء توجُّهه للأطفال بالإضافة إلى النكسة.

ومهما يكن من شيء، فإنَّ قارئ القصيدة يحسُّ بنضج الحنين في نفس العيسى إلى طفولته وإلى قريته، ولعلَّ

(1): النعيرية قريتي: سليمان العيسى، الشبكة العنكبوتية Suleiman alissa poet .orp.pdf، ص:194-195-196.
(2): الديوان: سليمان العيسى، ص:219-220-221.

هذا الشعور العاتي هو الذي مكنّه من أن يجعل الأطفال محور الجمال، ومعقد الأمل والرجاء، والهدف والغاية التي يسعى إليها، غير ناسٍ أن ينقش من خلال ذلك صور طفولته في قريته.

ومن الأمور التي دعا إليها العيسى – أيضاً – نبذ الكسل والتكاسل، والشواهد على ذلك كثيرة في الديوان، نختار منها نشيداً بعنوان "**اليقظة**"، نحاول فيه الوقوف على العنوان لاستكناه حقيقة هذا المعنى ومغزاه، ألا وهو التأهب والذكاء، والفطنة والحذر[1]، بالإضافة إلى دلالة الكلمة على الاستيقاظ الباكر والنشاط، وكلها معانٍ أراد العيسى إيصالها، وقد عزَّز المعنى استخدام الشاعر للصفة المشبّهة "يقظان"، التي تفيد ثبات هذه الصفة وإلصاقها بالطفل، حيث يقول على لسان طفل صغير[2]:

أنا يَقْظانُ، أناجي لُعبَي
وعَلى خَدّي مِنَ الشَّمْسِ قُبَلْ
أطْبقُ الجَفْنَيْنِ، لا يَشْعُرُ بي
أحدٌ .. هَلْ أتمادى في الكَسَلْ؟
أنا يَقْظانُ وفي الحالِ أقومْ
نافِضاً عَنّي الكسَلْ

والمتأمل في المقطع الشعري السابق يجد أنَّ العيسى يتوسّل بتقنية الاستفهام الإنكاري لإيصال أفكاره إلى الصغير في قوله: "**هَلْ أتمادى في الكَسَلْ؟**"، مستخدماً حرف الاستفهام "هل"، "الذي يُطلب به التصديق"[3] في أصل المعيار النحوي غير أنّ العيسى وظّفه توظيفاً آخر خرج إلى غرضٍ بلاغي جمالي فرضه السياق والفكرة العامة المتضمّنة داخل بنية النصّ، وهي النفي والإنكار؛ نفي الكسل وإنكاره في مقابل حضّ الصغير على العمل بنشاط، ويفعل الأمر ذاته في نشيد "**الأُسْرَةُ تعمَلُ**"، عندما يقول: "**مِنْ أيْنَ يَأتينا الكَسَلْ؟**"، إذ استخدم الاستفهام "أين" مسبوقاً بحرف الجر (من) "للدلالة على مكان بروز الشيء"[4]، وقد خرجت الأداة عن معناها القاعدي المراد به السؤال عن المكان إلى معنى بلاغيٍّ أرحب وهو نفي الكسل والدعوة إلى العمل بدأب ونشاط، مؤكِّداً من جديد هذا المعنى، محفِّزاً الصغير إلى تقدير العمل، وذلك من خلال استحضار صورة عائلة تعمل بجد ونشاط لتتحوّل إلى ما يشبه خلية نحل تعمل دونما كللٍ أو مللٍ، فيقول على لسان أحد أطفالها "كنان"[5]:

مِنْ أيْنَ يَأتينا الكَسَلْ؟
مِثْلُ الخليَّةِ بَيْتُنا
عَمَلٌ ودَأَبٌ بَيْتُنا
مِنْ أيْنَ يَأتينا الكَسَلْ؟

وإذا كان شاعرنا قد حضَّ على النشاط ونبذ الكسل، فإنّه لم يأل جهداً في الدعوة إلى عدم الاستسلام لليأس مهما واجهت الإنسان صعوبات، وقد عبّر عن ذلك في نشيد بعنوان "**القائد والنملة**"، استند فيه إلى تقنية

(1): لسان العرب: ابن منظور، مادة : يقظ.

(2): الديوان: سليمان العيسى، ص:639-640 .

(3): جمالية الخبر والإنشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية): د. حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص:138.

(4): المصدر السابق، ص:141.

(5): الديوان: سليمان العيسى، ص:505-506.

السرد الحكائي ليقصَّ على مسامع الصغار قصة قائدٍ شجاعٍ أعيته قلعةٌ عظيمةٌ، ظلّت تقاوم شهوراً، دون أن يتمكّن من فتحها، حتّى كاد اليأس يتسلّل إلى قلبه ويحطّمه لولا أنْ رأى نملةً تحاول حمل ثقلٍ يفوق وزنها، وفي كلِّ مرَّة يسقط، لكنَّها تعيد الكرَّة مراتٍ ومرات دونما جزعٍ أو يأس، حتّى تمكنت من تحقيق مرادها والقيام بعملها، فما كان منه إلّا أن هاجم القلعة بإصرارٍ وعزيمةٍ أكبر حتّى تأتّى له فتحها، وحقّق الانتصار المنشود، فيقول العيسى في نهاية الحكاية على لسان القائد[1]:

يا لَلنَّصْرِ الحاسِمِ!
يا لَلدَّرْسِ.. تُلَقِّنُني نَمْلَةْ!
سَنُهَاجِمُ فَوْراً
وانهارت جُدْرانٌ..
وانْتَصَرَتْ حَمْلَةْ

ثم يلخِّص مغزى الحكاية بقوله[2]:

مَهْمَا تَعِبْتَ.. واصِلِ الكِفاحْ
بَعْدَ الدُّجَى لابُدَّ من صَبَاحْ

وهذه الفكرة يؤكِّدها العيسى، ويلحُّ عليها في نشيد آخر يقدِّم فيه نصيحة على لسان الصغير"يافع" لأخته "هند" ومن ثَمَّ إلى كلِّ إنسانٍ، مُصرِّحاً بأنّ النجاح لا يكون إلا بالعمل الدؤوب والكفاح وذلك في نشيد بعنوان "**قاطف النجاح**"[3]:

يا هِنْدُ يا شَقِيقتي
تقبلي نصيحَتي
لا تَقْطِفُ النَّجَاحْ
إلَّا يَدُ الْكِفاحْ

ومن مظاهر احتفاء العيسى بفكرة العمل أنّه بارك الصانع والعامل والفلاح، وقد حظيَ الفلاح بالنصيب الأكبر، والحبِّ الأكبر عند العيسى، ولعلَّ ذلك يعود إلى أنَّ العيسى وُلِدَ من صلب هؤلاء الفلاحين ومن بطانتهم، فقد كانت أسرته "تعيش في حال أقرب إلى الفقر، إذ ليس لها من الموارد إلا ما يناله الأب من أجر في الكتَّاب، وبعض ما تغله على الأسرة بعض دونمات من أرضٍ تملكها، وتزرعها بنفسها"[4]. وها هو ذا يجعله صانع الرياض، ومالِئ الحقول فرحاً وسنابل ذهبية، فيقول متباهياً بعمله، وبنشاطه في النشيد الموسوم بـ "**الفلّاح**"[5]:

الحَقْلُ الأَخْضَرُ صُنْعُ يَدي
وأنا فلاحٌ.. يا بَلَدي
فلاحٌ.. يا بَلَدَ النورِ

(1): الديوان: سليمان العيسى، ص:448.

(2): المصدر السابق، ص:448.

(3): المصدر السابق، ص:115-116.

(4): سليمان العيسى شاعر العروبة والأطفال: د. علي القيم، د. ملكة أبيض، منشورات وزارة الثقافة الهيئة العامة للكتاب – دمشق، 2011، ص:33.

(5): الديوان: سليمان العيسى، ص:55-56.

أسْتَيْقظُ قَبْلَ العُصْفورِ
وأرُشُّ تُرابَكَ من تَعَبي
فَرَحاً وسنابلَ كالذَّهَبِ

وكما يبارك الفلاح، نراه يفعل الأمر ذاته بالنسبة إلى الصانع، فيقدّم نشيداً عذباً بعنوان "**عمّي منصور**"، يفخر فيه بالنجار على لسان صغير طلب من عمّه النجار أن يصنع له بيتاً للعبته فصنعه بإتقان حتّى غدا أجمل من بيت العصفور، فيقول العيسى في ذلك[1]:

عَمِّي مَنْصُورٌ نجّارُ
يَضْحكُ في يَدِهِ المِنْشارُ
يَعْملُ يَعْمَلُ وَهُوَ يُغَنِّي
في فَمِهِ دَوْماً أشْعَارُ

وهذه الأفكار والقيم تستوقف العيسى في نشيد بعنوان "**غرفة من الزّجاج**"، يصوّر فيه اعتزاز الصغيرة سعاد بوالدها الحداد، الذي صنع لها غرفة من زجاج سلبت لبها وسحرتها بشرفتها الزرقاء، فيقول على لسانها[2]:

أبي حدَّاد
تَقُولُ سُعاد
وتَرْفَعُ رأسَها تيها
بشيءٍ راحَ يَسْبيها
بغُرفَتِها الزّجَاجِيّةْ
عَلَى أطْرافِها نَصبَا
أبُوها غُرْفة عَجَبا

وكثيراً ما دعا إلى إتقان العمل، وبذل أقصى الجهود لإنجازه بدقةٍ متناهيةٍ، وقد تجلّى ذلك في نشيد "**الشاعرُ والدّوريّ**"، الذي يروي فيه للصغار حكاية الدوري الرشيق وهو لا يزال يبني عشّه فوق الشجرة منذ مطلع الفجر بكلّ جدّ وصبر، حتى نضّدّه قشّةً قشّةً بجناحه الصغير المتعب، مما أثار إعجاب الشاعر، وأعطاه درساً في الصبر والمثابرة على العمل، وعدم الاستعجال في إنجازه لتحقيق النجاح فيه، فيقول[3]:

سَيُلقّنُكَ الفنَّ
حَرفاً حَرفاً
دُوريٌّ حلْوُ
حلْوُ الذَّنَبِ
يَتَقَلّبُ في الأفُقِ العاري
مِثْلَ اللَّهَبِ

(1): الديوان: سليمان العيسى، ص:49.
(2): المصدر السابق، ص:104-105.
(3): المصدر السابق، ص:341-342.

يَغْدو ويَروحُ إلى غُصُنِ مُنْذُ
قد أنْجزَهُ ... يا لَلْوَكَنِ يا لَلسِّحْرِ!
لم يَهْدأْ حتَّى نَضَّدَهُ قَشَّهْ قَشَّهْ
بِلُهاثِ جَناحٍ أجْهَـدَهُ سَوَّى

والعيسى في تناوله لفكرة العمل نراه يدعو إلى العمل الجماعي، معزّزاً بذلك قيمة التعاون التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعمل، فكلُّ واحدةٍ تؤدي إلى الأخرى بحيث يصعب علينا الفصل بينهما، وتجلت دعوة العيسى إلى التعاون في العمل في أناشيد وقصائد عدّة، منها نشيد بعنوان "**بيتٌ على النهرِ**"، يعرض فيه العيسى أسرةً تعاون أفرادها على بناء بيت جميل على النهر، حتى غدا لؤلؤةً تُضيءُ حياتهم بالآمال والأحلام الجميلة، فيقول على لسان الصغيرة بدور[1]:

بَنَيْنَاهُ على النَّهْرِ
بِقُرْبِ الماءِ والأخْضَرْ
بَنَيْنا بَيْتَنا السِّحْرِي
مَنَاظِرُ.. كُلُّها يَسْحَرْ
* *
جميعُ الأسْرَةِ اشْتَغَلَتْ
تَعَاوَنَّا على العَمَلِ
أقَمْناهُ.. كَلُؤْلُؤَةٍ
ونَوَّرْناهُ.. بالأمَلِ

وفي قراءة متأنيّة للمقطع السابق، يتراءى لنا أنّ الطفولة تتعلّق بحنايا الشاعر، وتفرض نفسها عليه، وذلك عندما يفتح نوافذ الذكريات على الماضي، ليعود طفلاً يسترجع ذكريات بيته القرميدي الذي بنته الأسرة من طابقين بمساعدة ما يزيد على عشرين رجلاً من القرية، تبرعوا لمساعدة والده الشيخ أحمد[2].

وضمن إطار الدعوة إلى العمل نراه يدعو إلى العدالة الاجتماعية والعمل الدؤوب، "لتكون الفرصة متكافئة أمام الجميع"[3]، ولتكون خيرات الأرض وعطاؤها ملكاً للجميع، لا لأفراد بعينهم يستبدون بها، فيقول في نشيد "**للجميع**"[4]:

النُّورُ للجميعْ والحُبُّ للجميعْ
وأرْضُنا السَّمْراءْ
والخَيْرُ والعَطاءْ
لا بُدَّ أنْ يكُونَ لِلْجَمِيعْ

وهذه الدعوة التي نادى بها سليمان العيسى من خلال هذا الخطاب الشعري المدروس، لا يتوجَّه بها إلى الوطن العربي فحسب، بل يتعداه إلى الإنسانية جمعاء فهو خطاب إنسانيٌّ – إذا جاز التعبير – بداءة من العنوان "للجميع" الذي

(1): الديوان: سليمان العيسى، ص:494-495.

(2): كتاب اللواء، لواء اسكندرون بلدي الصغير: سليمان العيسى، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب – وزارة الثقافة – دمشق، 2013، ص:33.

(3): المصدر السابق، ص:198.

(4): الديوان: سليمان العيسى، ص:62-63.

كررّه العيسى مرات عدّة، لعلّه يصل إلى مسامع الجميع، وفي هذا نفَسٌ إنساني اجتماعي.

فالعيسى كان "على وعي بقيمة العمل الكبيرة، وبما جُبلت عليه الطبيعة البشرية من مكنونات ومن طاقات الخير وقوى التقدم، فالإنسان في رأيه محور هذا الكون؛ لأنه الجهد وطاقة العمل، والعمل بالنسبة للإنسان قيمة القيم لهذا نراه قد أولاه عناية خاصة، وحضّ عليه، وباركه ومجّده"[1].

(1): جدلية الفني والفكري في شعر الأطفال "سليمان العيسى" أنموذجاً: سوزان بنت محمد بن عبد الرحمن اليوسف، رسالة ماجستير في تخصص "الأدب والنقد" قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل، 1439هـ-1440هـ، ص:136.

نتائج البحث:

1- شغل العمل بوصفه قيمة اجتماعية نبيلة، مساحة كبرى في "ديوان الأطفال" لـ سليمان العيسى، فحضوره لم يكن عابراً، بل جاء لبلورة فكر الشاعر، والتعبير عن موقفه التربوي منه.

2- عمد الشاعر إلى تبسيط فكرة العمل مُطعِّماً إياها بما يخفِّف جفافها وقسوتها، ومن ذلك الاستفهام الإنكاري والسرد الحكائي... سعياً منه لتقريبها من أذهان الصغار، وحفزهم إلى تبنّيها وتمثلها مستقبلاً.

3- اعتمد الشاعر على أساليب وطرق شتّى، لإيصال هذه الفكرة إلى الصغار، فقدمها تارةً بأسلوب مباشر، وطوراً بأسلوب غير مباشر، وقد جاءت هذه الفكرة – غالباً- على لسان وسيط وهو الصغير نفسه.

4- بارك العمل والعامل، ومجَّد المصنع والصانع، وفخر بالفلاح الذي حظي بالنصيب الأكبر والحب الأكبر من الشاعر الذي ولد من صلب الفلاحين.

5- نبذ الكسل والتكاسل، ودعا إلى عدم الاستسلام للصعوبات، كما دعا الى إتقان العمل وإلى العدالة الاجتماعية، والعمل الجماعي معزّزاً قيمة التعاون.

6- استقى موضوعات أناشيده من عالم الأطفال، كاسراً بذلك جمود التجربة التعليمية متخلصاً من قيودها الثقال.

7- اتّخذ من العمل مطية لتقديم قيم أخرى من مثل: الحب، والتعاون، والعدل.

8- الطفولة تتعلق بحنايا الشاعر وتفرض نفسها عليه، فتنبثق منها بعض قصائده وأناشيده، وقد تجلّى من خلال عرضه لقيمة العمل حنينه الجارف إلى تلك الطفولة وإلى حياته في قريته.

9- في دعوة سليمان العيسى للعمل بنفس إنساني عميق واضح يعكس العقيدة التي آمن بها وانطلق منها في عرض أفكاره.

المراجع

1. *جدلية الفني والفكري في شعر الأطفال "سليمان العيسى" أنموذجاً: سوزان بنت محمد بن عبد الرحمن اليوسف*، رسالة ماجستير في تخصص "الأدب والنقد" قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل، 1439هـ-1440هـ.

2. *جمالية الخبر والإنشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية)*: د. حسين جمعة، منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق، 2005م.

3. *ديوان الأطفال: سليمان العيسى*، دار الفكر – دمشق، ط1، 1999.

4. *زهرة الآداب وثمر اللباب: القيرواني*، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم الدكتور زكي مبارك، حققه وزاد في تفصيله وضبطه وشرحه محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، دار الجبل للنشر والتوزيع والطباعة – بيروت – لبنان – د.ت.

5. سليمان العيسى شاعر العروبة والأطفال: د. علي القيم، د. ملكة أبيض، منشورات وزارة الثقافة الهيئة العامة للكتاب – دمشق، 2011.

6. *الطفل بين الألفاظ والمعاني: مريم فرنسيس*، (المعرفة) السنة الثامنة عشر، العدد215/214، كانون الأول/كانون الثاني، 1979م.

7. *كتاب اللواء*، لواء اسكندرون بلدي الصغير: سليمان العيسى، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب – وزارة الثقافة – دمشق، 2013.

8. *لسان العرب*: ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت711هـ)، دار صادر – بيروت – لبنان، ط1، 1997.

9. *المعجم الفلسفي*: جميل صليبا، ج2، دار الكتاب اللبناني – بيروت – لبنان، 1981.

10. معجم *المصطلحات التربوية والنفسية، عربي – إنكليزي – عربي*: أ. د حسن شحاته، أ. د زينب النجار، الدار المصرية اللبنانية – القاهرة، ط1، 2003.

11. *النعيرية قريتي*: سليمان العيسى، الشبكة العنكبوتية Suleiman alissa poet.orp.pdf

12. *واقعية الإبداع وجماليات الواقعية من منظور الاغتراب وقهر الاغتراب*: د. بشير مطيع ناصر، دار الطليعة الجديدة – سورية – دمشق، ط1، 2009.